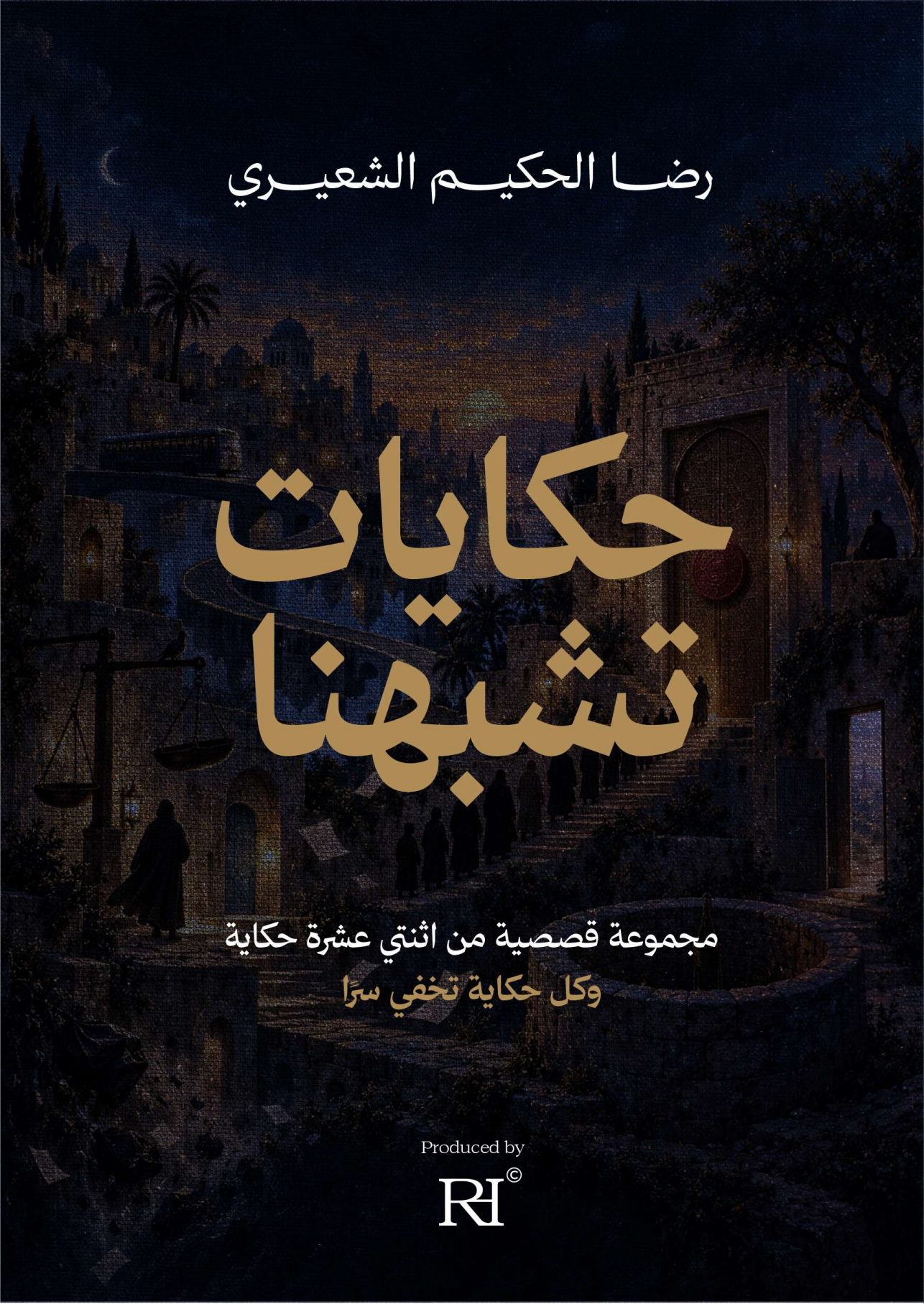

رضا الحكيم الشعيري
حكايات تشبهنا
مجموعة قصصية من اثنتي عشرة حكاية
وكل حكاية تخفي سرًا
Produced by
RH©

حكايات تشبهنا

مجموعة قصصية

رضا الحكيم الشعيري



الإهداء

إلى أبنائي...

كي يكبروا في وطن لا يحتاج فيه الإنسان إلى حكاية خيالية ليصف ما يعيشه.

إلى الذين أرهقتهم الطوابير، وأثقلتهم الأسعار، وأغلقت الأبواب في وجوههم، ومع ذلك لم يفقدوا قدرتهم على الحلم.

إلى الذين يسخرون من أوجاعهم كي لا تهزمهم، ويواصلون السير رغم أن الطريق لا يكون دائما في الاتجاه الصحيح.

إلى كل من وجد في إحدى هذه الحكايات شيئا من مدينته، أو ملامح من حياته، أو سؤالا ظل طويلا يخشى أن يطرحه.

إليكم جميعا...

لأن هذه الحكايات تشبهكم بقدر ما تشبهني.



مقدمة

المدن التي ستدخلونها في هذا الكتاب لا تظهر على الخرائط، ولا تصل إليها القطارات، ولا يعرف أحد على وجه الدقة أين تبدأ حدودها وأين تنتهي. ومع ذلك، قد تشعرون منذ الصفحات الأولى أنكم مررتم بشوارعها من قبل، وانتظرتم في طوابيرها، وطرقتم أبوابها، وربما دفعتم يوما ثمن العيش فيها.

في مدينة منها، تصبح الأوراق أكثر أهمية من أصحابها، ويقضي الناس أعمارهم وهم ينتظرون ختما أحمر. وفي أخرى، تتكدس الشهادات فوق طاولات المقاهي، بينما تعبر الوظائف من باب لا يراه إلا أبناء المحظوظين. وهناك سوق تميل موازينه كلما اقترب منها الفقراء، وحافلة تصل دائما إلى الأمس، ومدرسة تخشى النوافذ حتى لا يدخل إليها الضوء.

ستجدون أيضا غرفة تلتهم نصف الراتب قبل أن يسكنها صاحبها، وطبيبا أنهكه انتظار المرضى أكثر مما أنهكهم المرض، وبائعا يشيد الجسور بالكلمات ثم يتركها معلقة في الهواء. وستمرون بقرية نسيها بئرها، ومدينة لا يفتح فيها الباب الصحيح بالمفتاح، وأخرى أصبح السير فيها عكس الاتجاه دليلا على المهارة، بينما يتهم الملتزم بالقانون بالضعف وقلة الخبرة.

لم أكتب هذه الحكايات لأصف مدينة بعينها، أو لأدين شخصا بعينه، بل لأضع واقعنا أمام مرآة الخيال. فالخيال، حين يبالغ، لا يكذب دائما؛ بل قد يقترب من الحقيقة أكثر مما نجرؤ نحن على الاقتراب منها.

السخرية في هذه الصفحات ليست ضحكا على آلام الناس، بل محاولة للنجاة منها. وليست الشخصيات أبطالا خارقين؛ إنهم أناس عاديون يفعلون أخطر ما يمكن أن يفعله الإنسان في مدينة اعتادت الخطأ: يتوقفون لحظة، ينظرون حولهم، ثم يسألون: لماذا؟

قد لا تغير الحكاية مدينة، ولا تفتح بابا مغلقا، ولا تعدل ميزانا مائلا، لكنها تستطيع أن تمنعنا من الاعتياد. تستطيع أن تذكرنا بأن الخطأ لا يصبح صوابا لأن الجميع يفعله، وأن الطريق المعاكس يظل معاكسا مهما كثر السائرون فيه.

وإذا بدت لكم هذه المدن مألوفة أكثر مما ينبغي، فلا تبحثوا عنها بعيدا... فربما كان أقصر طريق إليها يبدأ من نافذة بيوتنا.



الفهرس

مدينة الطوابير 1

مقهى الشهادات 15

السوق ذو الميزان المائل 25

الحافلة التي كانت تصل أمس 43

الحي الذي ابتلعته أكياسه 57

مدرسة بلا نوافذ 71

غرفة تأكل نصف الراتب 83

طبيب القرية الذي مرض من الانتظار 95

بائع الجسور 107

البئر الذي نسي القرية 119

البابان 131

المدينة التي تسير بالمقلوب 143



رضـا الحكيم الشعيري

حكايات تشبهنا

مدينة الطوابير

حين تحتاج إلى وثيقة ... لتطلب وثيقة



Produced by

RI©

وراء آخر خط في الخريطة، بعد المكان الذي تنتهي عنده أسماء البلدان، كان يوجد بلد غريب يدعى «بلد الورق»

في ذلك البلد، لم يكن الإنسان يعتبر مولودا لمجرد أنه جاء إلى الدنيا؛ كان عليه أولا أن يحمل ورقة مختومة تثبت أنه ولد. وإذا أراد أن يدرس احتاج إلى ورقة، وإذا بحث عن عمل طلبت منه ورقة تثبت أنه لا يعمل، وإذا مرض لم يفتح له باب المستشفى حتى يقدم ملفا يؤكد أنه مريض.

أما الذين يموتون، فكانوا يظلون أحياء في سجلات المدينة إلى أن تحضر أسرهم وثيقة رسمية تثبت وفاتهم.

وكانت عاصمة بلد الورق مدينة اسمها «مدينة الطوابير»

في وسطها، علقت على جدار البلدية ساعة ضخمة يراها الناس من جميع الشوارع. لكنها توقفت منذ سنوات عند الحادية عشرة وتسع وخمسين دقيقة.

جاء صانع ساعات لإصلاحها، ووضع سلمه على الجدار، لكن مسؤولا خرج من البلدية وسأله:

- ماذا تفعل؟

- سأصلح الساعة، فقد توقف الوقت.

أجابه المسؤول:

- قبل إصلاحها، يجب أن تحضر ورقة تثبت أن الوقت متوقف.

رفع صانع الساعات رأسه نحو العقربين الساكنين وقال:

- ألا تكفي الساعة نفسها دليلا؟

قال المسؤول بصرامة:

- ما تراه بعينيك لا قيمة له أمام الإدارة. نحن نحتاج إلى وثيقة مختومة.

ومنذ ذلك اليوم، بقيت الساعة عند 11:59، لأن أحدا لم يعرف من أين يمكن استخراج شهادة تثبت أن الوقت قد توقف.

غير بعيد عن الساعة، كان يوجد بيت صغير يعيش فيه رجل اسمه سالم مع ابنته مريم.

في ذلك الصباح، استيقظت مريم قبل أبيها. كان اليوم أول يوم ستذهب فيه إلى المدرسة، فارتدت مئزرها الجديد، وصففت شعرها بعناية، ثم وقفت أمام المرآة تتأمل نفسها.

استدارت نحو سالم وسألته:

- هل أبدو مثل التلميذات يا أبي؟

ابتسم وهو يصلح ياقة مئزرها وقال:

- بل تبدين مثل معلمة صغيرة.

حملت مريم محفظتها، وفتحتها مرات عديدة لتتأكد من وجود دفاترها وأقلامها. ثم وقفت عند الباب تنتظر أن يمسك أبوها بيدها ويأخذها إلى المدرسة.

لكن سالم كان يضع بعض الوثائق داخل ملف أزرق.

قال لها:

- بقيت ورقة واحدة فقط، شهادة السكنى. سأذهب إلى الإدارة وأعود قبل الظهر لآخذك إلى المدرسة.

سألته وهي تنظر إلى الساعة:

- قبل الثانية عشرة؟

قبل سالم جبينها وقال:

- قبل الثانية عشرة بالتأكيد. إنها مجرد ورقة.

خرج سالم مسرعا، بينما عادت مريم إلى المرآة تصلح شعرها وتنتظر.

كان مبنى الإدارة ضخما، له أبواب كثيرة، لكنها كلها مغلقة باستثناء باب صغير لا يتسع إلا لشخص واحد. وفوق المدخل علقت لافتة كبيرة كتب عليها: «الإدارة في خدمة المواطن»، غير أن كلمة «المواطن» بهت لونها حتى كادت تختفي.

أمام الباب، وجد سالم طابورا طويلا يقطع الساحة ويلتف حول المبنى.

وقف في آخره وسأل رجلا عجوزا أمامه:

- هل هذا طابور شهادة السكنى؟

أجابه العجوز:

- لا أعرف يا بني. أنا أقف هنا لأسأل عن مكان طابور الاستفسارات.

- وأين طابور الاستفسارات؟

رفع العجوز كتفيه وقال:

- لو كنت أعرف، لما وقفت هنا لأسأل عنه. في الحقيقة، لا أحد يعرف لأي شيء هذا الطابور، لكن الجميع يخافون أن يغادروه فيكتشفوا أنه الطابور الصحيح.

بقي سالم واقفا. مرت ساعة، ثم ساعة أخرى، ولم يتحرك الطابور إلا خطوات قليلة.

وحين اقترب دوره، أغلق الموظف النافذة وعلق لافتة كتب عليها:

«استراحة قصير»

ثم خرج إلى المقهى المقابل ليشرب الشاي.

انتظر الناس تحت الشمس، وظلت كلمة «قصيرة» معلقة أمامهم وقتا طويلا. وفي مدينة الطوابير، كانت مدة الاستراحة تقاس ببرودة كأس الشاي، لا بعقارب الساعة.

عاد الموظف أخيرا، وفتح الشباك من دون أن يعتذر. وعندما جاء دور سالم، وضع أمامه بطاقته وقال:

- أريد شهادة السكنى لتسجيل ابنتي في المدرسة.

سأله الموظف:

- ماذا لديك لإثبات أنك تسكن في العنوان المذكور؟



قدم له سالم فاتورة الماء.

نظر إليها الموظف وقال:

- هذه تثبت أن الماء يصل إلى المنزل، ولا تثبت أنك تسكن فيه.

قدم له عقد الكراء.

قال الموظف:

- هذا يثبت أن صاحب المنزل أجره لك، لكنه لا يثبت أنك دخلت إليه.

تعجب سالم وسأله:

- وما الوثيقة التي تثبت أنني أسكن في بيتي؟

أجابه الموظف:

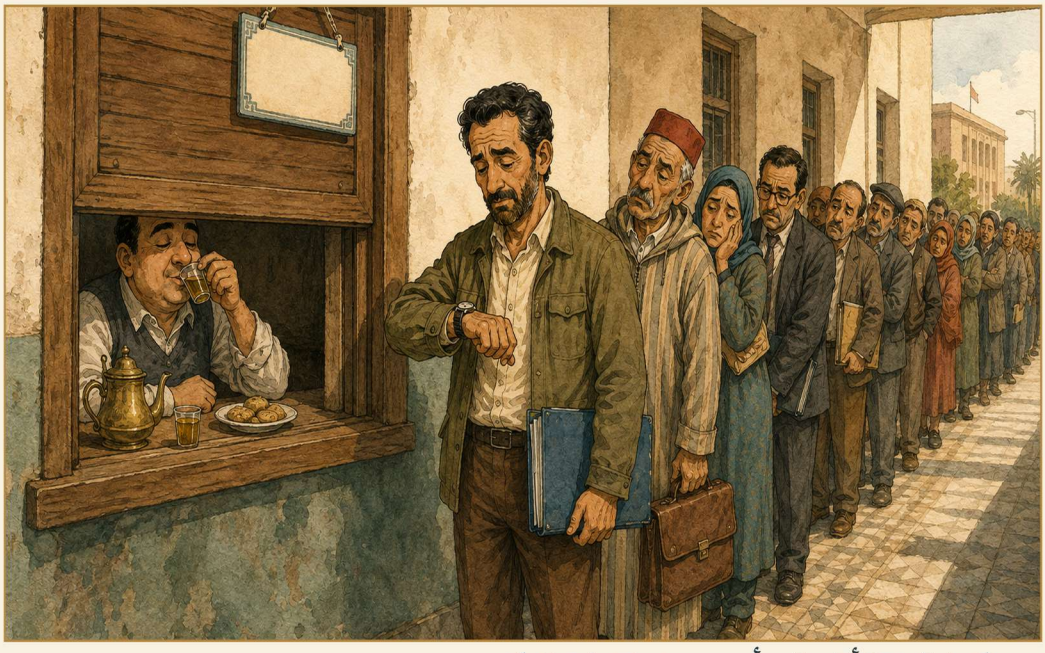
- شهادة السكنى القديمة.

فتح سالم فمه من الدهشة وقال:

- لو كانت لدي شهادة السكنى، فلماذا سأطلبها منك؟

قال الموظف:

- نحتاج إلى الشهادة القديمة حتى نسلمك الجديدة.



- لكنها المرة الأولى التي أستخرج فيها شهادة السكنى.

هز الموظف رأسه وقال:

- في هذه الحالة، يجب أن تحضر وثيقة تثبت أنه لم يسبق لك استخراج شهادة السكنى.

- ومن أين أحصل عليها؟

أشار الموظف إلى شباك في آخر الرواق:

- من شباك الشهادات التي تثبت عدم الحصول على الشهادات.

حمل سالم ملفه وتوجه إلى الشباك الآخر. فوجد عشرات الأشخاص يفترشون الأرض، بعضهم أحضر طعامه، وبعضهم وضع معطفه تحت رأسه ونام، وكأنهم لا ينتظرون دورهم بل يقيمون هناك.